صاحب الكباريه

اســــم العمــــــل	:	صاحب الكباريه
النـــــــــــــوع	:	قصص
تـــــــــــــأليف	:	عبد الرازق مصطفى
تصـــميم الغـــلاف	:	عبدالحكيم صالح
إخــــراج داخلـــي	:	عبدالقادر فايز الهندي
الطباعـــــــــــة	:	اتيليه تاتش – المحروسة
الناشـــــــــــــر	:	الدار للنشر والتوزيع
المــــدير العـــــام	:	محمد صلاح مراد
تليفـــــــــــــون	:	٠١١٢٥٨٠٠٤٦٧
البريـد الإلكترونـي	:	eddar_press@yahoo.com
فـــــيس بـــــوك	:	www.facebook.com/eldarpublish
رقـــم الإيـــداع	:	٢٠١٦/٥٢٢٨
التـــرقيم الـــدولي	:	I.S.B.N.:- 978-977-702-127-2

تكملــة لأهــداف الــدار للنشــر والتوزيــع ورؤيتهــا لتكــون فــي المقدمــة لإثــراء المجتمـع المصـري وإنـارة الطريـق وتقـديم رسـالة وتقـديم المبشـر والمتميـز مـن الشباب الجديد الذي هو أمل لهذا الشعب.

تـم التوصــل إلــى بروتوكــول تعــاون بــين دار (الــدار) للنشــر وجماعــة (إضــافة) الثقافيـة فـي إطـار جهودهمـا المتصـلة فـي سـبيل دعـم الموهـوبين مـن الشـباب المصـري أعضـاء جماعـة (إضـافة) فـي مجـال الأدب للوصـول إلـى جيـل مـن الكتاب المبدعين المتحققين يساهمون في إثراء الوسط الثقافي المصري.

ديسمبر

٢٠١٦

صاحب الكباريه

قصص

عبد الرازق مصطفى

الدار
للنشر والتوزيع
إضافة

ديسمبر

٢٠١٦

إهـداء

إلى الإنسان الذي لن يُغير سواد العالم من قلبه شيء

...

وإلى رفيقة عمري الفنانة (ميادة إيهاب)

....

وإلى أبي وأمي الذي كان إشتباكهم ناتج عنه هذا الطفل الذي أتمنى ألا يموت ليعبث بالعالم

وأخيراً إلى العظيم

(منين أجيب ناس لمعناة الكلام يتلوه)

نجيب سـررو

الحيوانات كائنات أرقى

صعدت السلم بعد توديع أناس أغلبهم لا أحبهم ولا يحبوننى، منتظرين بالخارج لكى يطمئنوا، متسائلاً "**يطمئنوا على ماذا؟" ما مدى الحق فى مشاركتهم ليلتى؟ أهى حلبة مصارعة؟! حكام!.. مشاهدين!**

أنا بوسط الحلبة، أمامى شريكتى فى هذه الليلة المليئة بالرعب من هؤلاء الناس، أحسست أن رعبها ينتقص من رجولتى، ألتقط أنفاسى بعد دخول البيت ناظراً إلى امرأتى التى لا أقدر أن أبرّر فعل المنتظرين لنا بالخارج لإنهاء مهمتها كأنها وظيفة لا أكثر، لأُبلغهم أنها شريفة عفيفة...

ترتعش رغم أن الجو ربيع، عيناها تفصح عما بداخلها من قلق وترقب شديد من هذه الليلة التى يلقبونها بليلة العمر، صوتى بداخلى يقول لى: أحقاً هى ليلة العمر؟

تتحرك ببطء شديد، تلتفت إلىّ لتطلب منى الخروج من الغرفة لتبديل فستان الزفاف، فأنصاع لها بدون أن أنطق بحرف واحد، خرجت وأغلقت الباب بهدوء.

انتظرتها طويلاً حتى طلّت علىّ بإبتسامة أحسّها تستجدينى عطفاً مما سمعته خلال عمرها ما قبل هذه الليلة المشئومة عليها، آخذ يدها لأقبّلها وأجلسها بجوارى، لحظات الصمت الآن تتفوه بما داخلنا.

استمرت فى ارتعاشها، حاولت أن أحتضنها لأربت على كتفها لتقول: مش هتتعشى ياحبيبى؟

أُخرجها من حضنى لأنظر بوجهها لأجدها غارقة فى دموعها، فأقول لها: انسى كل الاسئلة، واللى بيحصل من حشر الناس فى حياتنا، ولما الدورة تخلص ماتقوليليش... براحتك خالص، أما تحبى تبدأى فى أى وقت حالة حب مع حبيبك هاتلاقينى مستنيكى.

تنهمر منها الدموع أكثر، لكنها تضحك بصوت عالٍ كسيمفونية لم تُعزف بعد، أنستنى معها كل شىء.

صاحب الكباريه

أعتدت فى نفس الموعد من كل عام أن أذهب مع والدى إلى كشك الجزار الذى يقطُن الميدان، ليشترى لنا مستلزمات عيد الأضحى، لم أرى وجهاً به صرامة مثل الصورة الموضوعة على لافتة الكشك آخذة جزءاً كبيراً من الوجهة، للدرجة التى تبعث فى قلوب الناس الرهبة، سألت والدى من هذا الشخص، لكنه بإنشغاله مع أحد زملائه فى الطابور الملتوى كالثعبان، لم يرد على سؤالى.

إحساسي انه تجاهلني عن قصد لعل السؤال ضايقه، لأنه **نظر بطرف عينيه كأنه يقول لي "أصمت"**.

تذكرت حينها أني رأيت تلك الصورة في أماكن مختلفة، من ضمن هذه الأماكن مدرستي، عندما ذهبت إليها السنة الماضية لأول مرة فى حياتي، شاهدتها فوق رأس الناظر مُعلقة على الحائط وهو يُملى على التلاميذ الإرشادات بالطابور، بعدم سرقة السندوتشات والأدوات المدرسية من بعضهم البعض، وعدم الرقص فى الحصص، وعدم التبول فى الفصول.

كرهته وهو يقول لنا ذلك، لإحساسى بالإتهام من أول يوم دراسى لى.

لم أسأل عن تلك الصورة رغم اندهاشى بها لكبر حجمها، يبدو ككائن خالد لن يطوله الفناء.

لذلك **قررت ألا أتحدث مع أحد أو اسأل عن شىء، لتجنب المشاكل مثل ما قال لى والدي.**

لكننى الآن تأكدت من عدم رد والدى علىّ؛ لأنه لا يُريد أن يُثير المشاكل... مسالماً دائماً.

من الممكن التكهن أن الجزار هو صاحب المدرسة؛ لذلك لا يُريد والدى الخوض فى حديث يخصه، لإرضائه وعدم معاداته من أجل ابقائي في مدرسة شبيهة بمزارع البهائم.

حفظتكوا يا ولاد الـمتـ...

رائحة الشتاء، أحفظها عن ظهر قلب، تذكرنى بالفصل السنوى لى من العمل، رغم أنى كائن شتوى أحب أجواء الشتاء كالطفل؛ للّهو الذى يَهْب روحه كالفراشة للورود، إلا أننى لم أسلم من هديتى السنوية في عيد ميلادى: الفصل من العمل.

لم يحدث أن فُصلت فى فصل الصيف لأنه مشحون بالمواسم بالنسبة لشركات البيع التى ارتبطت بها تسع سنوات منهم آخر ثلاث متزوجاً، ضرر الفصل يقع على وحدى دائماً أما سنوات الزواج فهو يقع على شخص آخر يشاركنى الحياة.

فما ذنب هذا الشخص فى حفظك لقانون العمل الذى من أجله تُفصل سنوياً، لمطالبتك بحقك، وتحفيظه لزملائك بنداً بنداً، كلما ذهبت لمقر عمل جديد.

أنصاف الحقائق تُقال لنا لتوعدنا بالنعيم فى كل لحظة ترى فيها رب العمل.

أضحك دائماً وابداً أثناء سماعها، أما الآن أدخل من باب الشركة لأعبر على القطط الجائعة كل يوم فى نفس المواء الذى لا

ينتهى، علها تجد أحداً فى هذا المكان ليُسد جوعها بلقيمات بعد إفطارهم، رغم أن إفطار زملائى لا يسد جوعهم بالأساس فهل يوجد للقطط أى شىء ليأكلوه؟

أطبع بإصبعى على بصمة إلكترونية بعد وقوفى منتظراً دورى، زملائى يبصمون بالإبهام وأنا أبصم بالوسطى.

أنتظر بالمكتب ليأتى إلىِ صوت الساعى:

_ الريس عايزك.

_ طب شكراً يا عم إسماعيل.

أمشى ببطء فى ممر على بدايته لافتة كبيرة مكتوب عليها ممنوع قراءة الجرائد والكلام فى السياسة.

أرى نظرات من يجلسون بالإستراحة، أعلم جيداً أنهم يعرفون بنهاية خدمتى فى هذا المكان، أتصبب عرقاً رغم برودة الجو الشديدة.

طرقت الباب لأسمع صوتاً رخيماً من الداخل:

_ أدخل.

_ صباح الخير يا ريس.

_ صباح الخير يا بيه، يا بااشا، يا مغلبنا.

_ يا ريت يا ريس لو فى حاجة تخص الشغل نخش فى الموضوع على طول لأن حضرتك بتشرب السيجار بتاعك وبتسمع سيمفونية بيتهوفن ومشغل التكييف ومشغول أنا عارف هيهيهيهيهيهيه..

ليقول لى فى هدوء:

_ أقعد من غير رغى كتير احنا مستحملين مشاكلك رغم أنك بتجيبلنا فلوس كتير وانا عارف ده كويس حفظناها منك، بس بترغى كتير مع زمايلك واحنا هنا جايين نشتغل مش جايين نرغى، شغل برامج التوك شو والمسرحيات ده مش عندنا.

_ يا ريس هو انا حصل منى حاجة لا سامح الله، كل اللى قولته...

مقاطعاً لي:

_ عارفه وحافظه بالكلمة، بيوصلنى يا بيه، روح على الحسابات من غير ما تكلم حد هتلاقى أحمد مصفّى حسابك شوف لو عليك مديونية عشان نخلص من القصص دى، هنوقف مرتبك لغاية ما تجيب المديونية، أنا شخصياً كان نفسى تكمل معانا بس للأسف انت مش بتاع شغل، مشاكلك كتير.

_ شكراً لذوقك يا ريس بس حلوة السيجارة دى ما تجيب شفطة هيهيهيهيهيهيه.

يقولها فى غيظ:

_ أتفضل يا أفندى ورانا شغل... ده منظر واحد مفصول!

كرهت وداع الناس فى كل مرة، فلم أودع أحد بعد خروجى من الحسابات، أبلغت زوجتى بالتليفون فضحكت لتهون علىّ، رغم أنى أعلم أنها تصرخ من الحزن لعدم إستقرار حياتنا المادية أو بالأحرى لعدم وجودها...

أستقل أتوبيس نقل عام، ذاهباً إلى بيتى فى زحام الطريق توقفنا لأجد شخصاً يمشى فى منتصف الشارع على الرصيف الفاصل

بين الإتجاهين، فى العقد الخامس من عمره،يبدو لى أنه مديري السابق، ينظر إلى الراكبين وينهرهم وهو يُشيح فى وجههم بإشارة إباحية بإصبعه الوسطى: **كلنا بنشحت من بعض... هأوأو أو أو هأوأو أو أو..**

كلنا بنشحت من بعض... هأوأو أو أو هأوأو أو أو.

الشّبكة المقدسة

"سرطان إيه ياسامى، أنا راجل بتاع ربنا عمرى ما هاعمل حاجه تأذيكم، مانت عارفنى وهبت حياتى لخدمة الناس،إتكل على الله إنت وماتنساش تبعتلى الراجل بعد صلاة العشاء،وماتتكلمش فى الموضوع مع حد."

أسمعه بنصف أذن مستلقياً على الأرض، أتمنى أن يلتهمنى النوم؛ لكى لا أرى ووجهه الكئيب، أنظر إلى الجالس بجوارى:

_ ياااه سيد كلبة، انت جيت تانى ياسطى، وغلاوة عم ملوحة عندك لا تروّح.

_ إنت اتجننت؟ إيه يا عارف؟ كل ماتشوفنى هنا تهب فيّا! سيبنى الله يخليك أنا فيّا اللى مكفينى.

يقترب من الشيخ هامساً فى أذنه، فيتعصب عليه قائلاً:

_ يابنى انت بقالك شهر بتعدى عليا، أنا حاولت احلّلك مشكلة حياتك المزنّقة بكل الطرق.

اقولك... إتجوز..

الجواز هو الرزق كله، مانت شايفنى متجوز اربعة ومّشيهم على العجين، وبجوز ولادى والرزق واسع، بييجى لوحده، ربك كريم، عليك بالجواز حتى لو هتستلف علشان تعمل كدة.

قاطعه كلبة: ودى تعقل ياعم الشيخ!

_انت مش فاهم حاجة، دينك أمرك بكده، يبقى تنفذ، سيبك من كلام الناس اللى لا يودى ولا يجيب، الجواز هو باب رزقك ريح نفسك، مش عاوز اشوفك المرة الجاية غير وانت بتقولى تعالى اكتبلى كتابى، يلا قوم اتكل على الله.

يقولها اثناء السلام عليه، يتحرك من أمامه فى صمت تائهاً لينادى عليه الشيخ: ياااا كلبة، الباب من على اليمين، مع السلامة.

تغفو عينىّ لأرى المكان ممتلئاً عن آخره بأناس يصلون، وهو يؤمهم، أراه فى ضخامة غريبة والناس فى حجم الاقزام، يلتفت كلما سجدوا ليضع يده فى جيوبهم، فيتضخم حجمه كلما مرّ

بأحدهم، أسمع صوتاً من بعيد: أصحى ياعارف، أصحى ياعارف.

أفتح عينى لأجده يقول: يابنى قوم عندنا ضيوف، أنا هدخل أوضتى ومش عاوز حد يعرف انى هنا، لما ييجوا تدخلهم على طول وتجيب لهم حاجة ساقعة، ماتتأخرش زى عوايدك.

ينظر إلىّ أثناء اعتداله وهو يتجه إلى الغرفه ليقول متجهماً: إنت ماقمتش تصلى العشاء ليه؟ مش حرام عليك تبقى خادم المسجد وماتصليش؟ ده انت هاتتشوى فى نار جهنم.

جئت بالمشروبات للضيوف، دخلت دون استئذان لأسمعه: عارف يا بشمهندس؟ أنا بحب أشجع الشباب علشان بفلوس الشبكه دى أنا هجوز بنت من بناتى، ربنا العالم انتو قلتولى إن المئذنة اللى هتصمموها مش هتبان إنها شبكه تليفونات، يعنى الناس مش هاتعرف حاجة، مش عاوز فضايح على آخر الزمن.

يرد الضيف الشاب: لا ماتقلقش من أى حاجة وبعدين... ألف ألف مبروك فرح بنتك ياشيخنا، إمضى وإتكل على الله.

ينظـر إلـىّ كأنـه يقلـع عينيـه مـن وجهـه، ففهمـت ووضـعت المشـروبات علـى المنضـدة، أخـرج متسـائلاً: أهـذا الرجـل الـذى أرسلنى والدى إليه لأتعلم منه التقوى والصلاح والورع؟

ده ياكل مال النبى ويحلى بالصحابة.

بداخل الفولاذ

بعد أن مشيت فى الطرقات بهذه البدلة الفولاذية التى ألبسونى إياها منذ ولادتى إلى الآن. تحجّر عقلى، يريدون منى أن أسلم هذا الجسد الذى يحدثونى عنه كأنه رأس مالهم الذى يملكونه، كأنهم تزوجوا لينجبوننى للحياة لكى يتاجروا بى، فليس لديهم أى مقومات تؤهلهم أن يظلوا على قيد الحياة، أو أى كيان يؤمن لهم حياتهم.

تكفلت أنا بهذا الدور، توليت إعاشتهم كاملة، ففقدت الرغبة فى الحياة مما آراه معهم.

أم متزوجة من رجل منذ خمسين عاماً لم يعاملها بالحسنى مطلقاً، إختفى إخوتى الرجال من هذا المكان راحلين إلى حيواتهم، أما أنا فاليوم أتممت أربعة وأربعين عاماً، اتخذت قراراً بالزواج بعد معاناتى التى لا تنتهى وإحساسى بالوحدة، أدخل فى حالات حب لكنها من طرف واحد لا أجرؤ على المواجهة فيها، أتذكر حبى لمدرس اللغة الانجليزية بالمرحلة الثانوية، ظللت فى الهيام الأبله كثيراً حتى بعد تخرجى من الجامعة، كنت أرسل لنفسى كل أسبوع خطاباً مكتوباً بخط يدى، وأضعه فى صندوق البريد الكائن بجوار

عملى، لأتحيّن لحظة مجيئه، لأعيش مفاجأة سارة أثناء استلامه فى كل مرة، أسهر الليل أقرأه وأعيد على مسامعى مقاطع منه عدة مرات، مع تطور التكنولوجيا اقتنيت تليفونين لأحمل واحداً وأضع الآخر بدولاب جهازى، أرسل منه رسائل للذى أحمله وأُسمّى هذا الرقم (حبيبى)، أضبط الرسائل أن تأتى إلىّ كل يومين لأكون نسيت أنى أرسلتها لانشغالى فى العمل، ظل الوضع هكذا وحياتى تتصدع رغم نجاحى فى الجانب العلمى والعملى، لكننى لا استمتع بأى نجاح لأنه يفسد بمجرد أن أتحدث عنه بالبيت الذى اشتريته من حر مالى بعد سنين استعباد فى العمل، ففرضت علىّ أمى عندما اشتريته أن تجلس معى؛ للمحافظة على سمعتى، هذا ما قالته لى للحد الذى جاورتنى فى سرير نومى.

أكره جسدى النحيل الذى يزداد نحوله كلما اخترقته العيون كل لحظة من حياتى، سواء فى العمل أو فى أى مكان، راودنى عنه كل من أُحتسب علىّ ذَكر، لم ارتدى قميص نوم مثل البنات لأراه علىّ حتى ولو بالصدفة، لهذا لا أدرى ماذا أفعل اليوم بعد

موافقتى بالزواج برجل أكبر منى بخمسة وعشرين عاما، كهلاً لدرجة أن يديه ترتعش وهو يصافحنى، فأرتبك وأتلعثم...

أذهب بمخيلتى عندما أراه بالشكل الذى تؤول له حياتى معه، فمقايضته لى على جسدى كسلعة مقابل مسكن جديد، سيارة، إعالة أهلى، كل هذا لايساوى لحظة من حياتى التى حاولت فيها جاهدة أن أتملص من مجتمع ذكورى مريض إلى أن وصلت للبر الذى اقف عليه من عروض بالزواج العرفى وعروض مستترة أو صريحة بممارسة الجنس مع آخرين.

فى وسط كل هذه المهاترات كنت أبحث عمّن يشاركنى حياتى التى لا أعلم لماذا انتهت بالطريق الذى كنت أهرب منه طوال السنين الماضية؟

تنظر الى زميلاتى فى الأيام الأخيرة على أنى عاهرة –أرى ذلك فى أعينهم– أو متزوجة عرفياً، فكل هذه الحالات هى مادفعتنى للجلوس الآن بانتظار الفستان الأبيض الذى تحمله لى بنت أختى مسرعة، يمتلئ المكان عن آخره مهنئين: أحِّبة وأعداء.

بين غمضة عين وفتحها، **أرى كفنى كلما اقتربتْ منى حاملة الفستان**، يتراقص الناس من حولى فى سعادة، تبتسم هى مبتهجة، تقبّلنى وتضع الفستان بجوارى قائلة:

مبروك وعقبالي زيك.

جسد أثناء تحلله

أحاول أن أنجو بنفسى فى كل مرة يُدخل يده بين أرجلى كالقلم فى المحبرة، لا أعلم من فعل بى هذا بسبب التزاحم المعتاد فى الثامنة مساءً كل يوم بنهاية العمل، وأنا أستقل الأتوبيس المتهالك التابع لهيئة النقل العام.

المرة الأولى الذى حدث ذلك أحسست بعجلات قطار تسحق جسدى ذهاباً وإياباً، للحد الذى رأيت فيه أشلائى مترامية على وجوه من حولى، والمكان مليئ عن آخره بالدم، **شىء ما يطبق على أنفاسى دائماً إلى الحد الذى جعل منى دمية فى أحضان زوجى بلا أدنى مقاومة أو إحساس بالرغبة فى مبادلته أحاسيس تشعره بلذة ماتت مع الوقت، فظل احتقارى له ولنفسى.**

لم أنطق أبداً بكلمة لعاصم زوجى، خوفاً عليه أن أجرح كرامته، لكننى اتخذت قراراً اليوم بمصارحته بعد أن ألقاني صاحب اللحية مجدداً تحت القطار.

نزلت من الأتوبيس، تمشيت بالأزقة التى أمر بها يومياً، الأرض تهتز من تحت أقدامى رغم ثبات الناس من حولى فى حالة تشبه

الجبال الصماء، أصعد السلم مسرعة مرتعشة، أفتح الباب لأجده هو وأمه (دائمة الزيارات) يجلسان فى أنس يتبادلان الضحكات التى قطعها وصولى، فأنفجرت بالدموع من شدة سخونتها كأنى أنزف دماً.

سألنى مندهشاً: إيه اللى حصل، مالك؟!

_ عايزاك لوحدنا فى الاوضة.

فأنتفضت أمه بعصبية: لعله خير ياضنايا.

عبرنا سوياً إلى كهفنا المظلم الذى يستمتع بذبحى فيه كل يوم، أجلسنى متلهفاً محتضناً لى، فوضعت يدى على صدره دافعة له بعنف، فسقط على الارض مهمهماً: إنت اتجننتي؟!

_ إتجننت عشان محدش بيعاملنى كبنى ادمة؟ أنا كل يوم بيتحرشوا بيا ومش قادرة أقولك عشان خايفة عليك وعلى إحساسك.

تجتاح أمه الباب: مانا ياما حصلى كده وعمرى ماقولت لجوزى عشان احافظ على بيتى، الست الشاطرة هى اللى تعمل كدة.

تصرخ: **عايزة تضيعى مستقبله ويصورلك قتيل عشان واحد اتحرش بيكى، وبعدين اكيد انتى السبب علشان بتتأخرى فى الشغل.**

تجثو على ركبتيها لتربت على كتف إبنها الملقى على الأرض لينهض معها خارجاً غير مباليين لما أقول فلا ينطق حتى كلمة مواساة ليهدئ من تصدعى، ذهب رجلى تاركني فى كهفى الذى قارب على التحطم فأخذت (أبو فاس) من تحت الوسادة لأدهن به جسدى كعادتى، لأجعله كلما اقترب من هذا الجسد النحيل أن يكره نفسه، لكنه رغم ذلك يعاشرنى وانا نائمة.

استفقت بعد نوم لا أعلم مداه لادخل المطبخ لأجده ينظر من شباكه فى حاله اهتزاز لجسمه لاستبداله يده بدلاً منى فى إمتاعه، يرانى فيهرع خارجاً ليظل فترة بسيطة ثم يعود واقع خطواته على مسامعى كحفار الارض يحفر اجزائى بلا رحمة..

عقل مُسَرطِن

وقع نظرى عليها فى كامل أناقتها وجمالها، ألوانها الزاهية، حبها للحياة كما هى رغم عقدها الخامس، لكنها لاترتدى غطاء رأسها التى تعودت أن أراها به، قلت لنفسى: لقد أصبحت أجمل من ذى قبل، لم يكمل فمى الإبتسام لها ليفتح باب المترو أحضانه لتخرج منه كالريح، تلتفت نحوى كلما أبتعدتْ، لم اندهش مما فعلت رغم أنها كانت تحبنى وبادلتها شعوراً جميلاً لم أبادله احداً من قبل.

بعد هذا المشهد بأسبوع جاء لى صديقى أحمد الزاهد (زميل دراسة).

أقام معى يومين: الأول بأكمله نائماً بلا حراك، أنظر إليه فى صباح اليوم التالى كى أوقظه لأجده شبه مدفون بلا قبر، رغم انه استغنى عن لحيته التى ظل سنوات عديدة يفتخر بها وهو يجوب الطرقات ليأمر الناس بإتيان فعل الخير بتشدد منفر، لم يعبُر التعليم الأزهرى الذى تخرجنا منه سوياً إلى قلبه، لم أناقشه يوماً فى تشدده لأنى عرفت مصدره من المقرأة التى أخذنى يوماً إليها فى مسجد مجاور لمنزله المجاور لملاهي ليلية، اعتاد الشجار بعدها مع روادها وهو خارجاً من جلسته.

ظل على هذا الحال خمس سنوات لم أشاركه هذا لأنه من وجهة نظرى متعصب للحد الذى أنفر منه شخصياً، أفعاله تفوق مقدرتى على الإحتمال، رغم ذلك أحِبه، بداخله طفل صغير يفرح دائماً أثناء لهونا مع الجيران بالكرة أو (بلاى استيشن) أما الآن فقد اختلف تماماً عمّا رأيته آخر مرة، لم أسأله عن حلاقة ذقنه ولا شعر رأسه الطويل أو أسلوب تغيير ملابسه من الجلباب الابيض القصير إلى الكاجوال، رغم ذلك لم أرى فى هيئته وجه الطفل الذى كنت معتاداً عليه فى بعض اللمحات.

أقف أمامه، أحركه بيدى لأنتزعه من نومه كى يأتى الى دنيانا، أحاول مرة أخرى جاهداً فلا أجد نتيجة فأتركه.

عدت له فى آخر اليوم بعد نهار عمل شاق، دخلت عليه الغرفة فلم يحرك ساكناً ففزعت، هززته بقوة ففتح عينيه بشق الأنفس لينطق فازعاً:

_ فيه ايه... انا فين وايه جابنى هنا؟!

_ بقولك ايه يابو حميد اوعى تكون هربان من مصيبة والنبى، أنا فيّا اللى مكفينى...

قرفص في سريره مطرقاً لبرهة، ثم همس: إعملّى قهوه دوبل وتعالى أحكيلك، يمكن عندك حل.

ثمة رائحة موت خرجت من همسه، فرددت: حاضر، قوم إغسل وشك وظبط نفسك كدة لحد ما اسويلك فنجان قهوة حلو.

جلسنا فى الصالة على كنبته المريحة التى كان يحبها أيام الإمتحانات، إنتهى من القهوة فى صمت، نظر الى الفنجان كأنه يستحضر بركاناً لينفجر، فقلت له: ها... تمام كدة؟ ولا أعملك فنجان تانى؟

قال بملىء فمه مرتعشا والعرق ينطح من جبينه:

_ أمى هربت مع واحد معرفوش ودخلت دين جديد، والعيلة إتدمرت.

ينهار كالبيوت المهشمة فى الحرب، يمر أمام عينى الآن كل عذاباته السابقة لها، ربتّ على كتفه، خارت جميع قوانا سوياً في نفس اللحظة، لم أجرؤ على التفوه أنى رأيتها فى المترو من أسبوع من هول صدمتى، وبالكاد أيقنت أنى لن أخبره.

دستور خلفی

رغم صغر مساحة المسجد ووجوده فى منطقه عشوائية إلا أنه به نفس تجهيزات المساجد التى بمناطق الطبقة العليا، ازداد الطرف طرفاً بمبردٍ صغير للأطعمة بجوار المحراب، يرتكن إليه شيخى بين أوقات الصلاة لينهل منه.

أمّا فى هذا اليوم بنهار رمضان بعد صلاة العصر ألقى كلمة على مريديه، ثم انطلق ليستريح كعادته بالمنزل، علىّ أن اصطحبهُ إليه.

أثناء خروجنا على باب المسجد هرول فى أثرنا عمر زماكَة جارنا، ليسأل عن فتوى عمل المرأة، يتحدث فى اللحظة التى تقف أمامنا نبوية امبوبة بعربتها الكارّو المعهودة باسطوانات الغاز فى هذا القيظ، ممسكة المفتاح تدق عليهم بقوة، وجهها يميل الى الزُرقة يتصبب عرقاً كأنها فى صحراء، ملتحفة بالسواد الذى لم أرها بغيره منذ زمن.

لمحنى الشيخ بطرف عينيه أنظر إليها، أيقن أنّى لم أكن أنصت له أثناء تحدثه إلى زماكة الذى لازال متضرعاً بين يديه، فحسم

الأمر بعلو صوته حتى وصل إليها "**إن عمل المرأة حراااام يا زماكة وهو ده سبب خراب الأمة وعدم انصلاحها... فهمت يابنى؟**"

سقطت نبوية مغشياً عليها فى نهاية جملته، ففزعنا نحوها حاملين هذا الجسد الذى أكله الشقاء إلى داخل المسجد، محاولين إفاقتها دون جدوى.

تعبر ابنتها عتبة المسجد فى خطوة سريعة بعد سماع الخبر

"أمّاااااا...أمّاااااااا...أمّاااااا مالك يامّا؟" تصحو على صوتها لتقول فى لهفة:

"أنا كويسة ياضنايا"

تحتضنها محاولة تجميع قواها المنهكة، نظر إليها الشيخ ثم قال بلهجة هادئة: "إحنا مش هنتكلم فى موضوع الشغل حرام ولا حلال، أنا هقولك حمدلله على السلامة، وبعدين أنا هريحك خالص، **إنتى تسيبى الشغلانة اللى مبهدلاكى دى وتتنقبى وتقعدى فى البيت إنتى وبناتك، كل أول شهر خمسميت جنيه**

لكـل نقـاب، تيجـى بمشـيئة الله تاخـديهم مـن المركـز اللـى فـوق الجـامع، أظـن الشـغل كـدة ملـوش لازمـة، بـاب ربنـا هـو شـغلك وراحتك لحد ماتموتى."

خضعت نبوية بسرعة البرق، لم تناقشه حتى فى الامر بل قالت بنبرة تضرع:

_ تؤمرنى ياعم الشيخ راضى، إحنا لينا بركة إلا إنت؟ طب ينفع البـت الصـغيرة معـاهم؟ والنبـى ترضـى يامولانـا علشـان خـاطر اليتامى.

ابتسم ابتسامة أعرفها جيداً، تلك التى بعدها يأتى أمراً لكل من حوله:

"بنتك الصغيرة دى هى بنتنا، واحنا خدناها لمسيلمة إبننا" وربت على كتفى مكملاً قوله: أظن انتى عرفاه وعارفة اهله كويس، بس المهم تبعتيها من النهاردة تحفظ قرآن وتحضر دروس مع الشيخة دلال فى مسجد المدينة اللى جنبكم، كدة أظن كله تمام بإذن الله.

مقاطعة له: **هو فيه بعد كلامك يا مولانا؟ دانا من ساعة مادخلت الجامع بتاعك وانا حاسة إنى فى الجنة.**

أزمة دبلوماسية عند أم شطة

أصبحت علاقتنا كقلعة محصنة رغم معرفتى به منذ ستة أشهر فى الجامعة بكلية أصول الدين، منهم الثلاثة الأخيرة نطوف قرى نائية على الجوامع الصغيرة والزوايا لصيانتها أو تركيب مبردات مياه وأحياناً لتوزيع ملابس للأطفال ووجبات غذائية لمعدومى الدخل.

فى هذه المدة حاولت أن أطلق لحيتى مثل صديقى مدكور للإقتداء به، لكننى فشلت لضعفها الشديد إلى الحد الذى تبدو فيه مضحكة إذا أطلقتها، فشاركنى هو إهتمامى بحلق شعر رأسه مثلى تماماً، فسألته يومها: "فيه حد شعره يبقى شبه الهنود ويحلقه أقرع؟"

نظر إلىّ بابتسامة أدخلت إلى قلبى السرور، تاركة فى نفسى أثراً طيباً فِعلته التى لم أتوقعها.

قبل ذلك بثلاثة أيام كنا نتحدث عن الزواج، فرأى من الأفضل أن نهب أنفسنا للدعوة، نطقها واثقاً منها: "أحنا ماشيين على خُطى الشيخ الأهوانى."

لكنه وعدنى بحل أقرب إلىّ من قميصى، هاتفنى فى العاشرة صباحاً من اليوم التالى بإقتضاب غير مريح:

_ سلامو عليكو... عايزك ضرورى.

_ عليكو السلام، إزيك ياشيخنا؟ مالك بس انا عملت حاجه زعلتك؟

_ فى مشكله حصلت ولازم تكون معايا فى حلها فى أسرع وقت.

_ مسافة السكة واكون عندك.

لم أتأخر عليه، وجدته ينتظرنى بالشارع فأشار إلى تاكسى، وبفضل وسامته المعهودة وشياكته نادراً ما يرفض أى تاكسى الوقوف له، جلس بجوار السائق الذى سأله بمجرد أن رآه:

_ إنت اخو وائل كافورى المغنى؟

رد فى أدب جم: لا ياسطى.

_ أصلك شبهه أوى.

فى لهجة حاسمة لإنهاء الحديث: انا الداعية الإسلامى محمد مدكور، وشهّل شوية ياسطى الله يكرمك علشان مستعجلين.

رد السائق فى حرج الواقع فى مأزق يرجو الخروج منه: لا مؤاخذة يا مولانا.

نزلنا من العربة فى شارع مزدحم عن آخره: بائعين خضار ومحلات من كل شكل ولون، بباب المنزل الذى نقصده يجلس مِنجد منهمك فى عمله، رغم ذلك ينظر فى كل الإتجاهات بلا مبرر. اتجهنا إلى الطابق الأول فوجدنا المنزل مفتوح أشبه بشكل المصالح الحكومية الرتيبة، **يجلس بجوار الباب رجل خليجى فى العقد الخامس بعقاله الأسود وجلبابه الأبيض، سبحته لا تفارق يده، يلازمه شاب مصرى يتضح من ملامحه البارزة وسمرته أنها سمرة الطين، لهجته تؤكد ذلك.**

إلتفت إلينا رجل ضخم البنية في جلباب بلدى لمصافحتي أنا وزميلى، فعرّفنى عليه:

_ الحاج مصطفى سيلان.

_ إيه؟!

_ هفهمك بعدين...

أخذنا جانباً من المكان إلى حين انتهاء الجدل الدائر بين كلا الطرفين الذى مع الوقت بان سببه عندما خرجت علينا منى زحليقة من غرفة ملاصقة، مرتدية عبائتها السوداء الملتصقة بهذا البنيان الأنثوى كالشراب الحرير به فتحة عند الصدر، وتربط شعرها برابطة رأس حمراء، صاح الخليجي فى لهجة رجاء:

_ أنا أبغيها بالحلال، والله نكتب هيدى الورجة وتوجع عليها ليصبح زواجاً مباركاً حلال، أنا ما بجدر أتكشّف على مرة إلا لما تكون زوجتى، ياناس هذا حجى لا أريد أن أتعرى أمامها إلا بالشرع، ما المانع ياحاج...

قاطعه الحاج فى صرامة الأسد عند انقضاضه على الفريسة:

_ ده بيت محترم ياشيخ العرب لا ورقة ولا احزنون، عاوز تخش على النسوان كلها خش، إنما ورقة ولَبش مش ناقصين الله يكرمك خليها ماشية بالستر.

يقف الشاب الملازم للشيخ محدثاً الحاج فى أذنه بصوت خافت، فجأة هاج رافضاً بشدة عرضه.

خرج مدكور من الباب ووارىه بعدما أخذ زحليقة تحت إبطه، فقالت له بدلال: "غِبت علينا المرة دى"

_ سيبك يابت من الهرى ده، فين أم شطة؟

_ ده أنت أكتر واحد عارف أراضيها هههههى هيههههى....

_ طب إهبَطى وإركنى خالص لحد ماخلّص الحدوتة دى.

_ مانا عارفاك تخلّص المعزة من بق اللبوة هههيهيي هييهيي.

يغمز لها أن تصمت واضعاً هاتفه على أذنه: "ألووو... أيوة يا امو شطة... إنتى فين انا عندك فى الملاهى وفى واحد ليفة عايز يكتب ورقة عالدفايش قبل مايخش عليهم، لازم تيجى دل..... اممممم.

صمت ثم نظر إلى الهاتف وإلىّ قائلاً:

_ قفلت السكة فى وشى يبقى جاية حالاً، هتحلِّلنا الحدوتة دى، وهظبطك.

قلت له متعجباً: واضح إنك معرفة هنا من زمان ومبتقطعش رجلك خالص.

_ هافهمك بعدين، المهم هحلّلك مشكلة الجواز دى خاالص، ولا مش عاوز تتجوز؟ قالها بابتسامة أعرف مغزاها.

يدور المشهد أمامى بلا أدنى مقاومة منى، لا أقدر على تركه، فضولى سوف يقتلنى يوما ما.

حتى ونحن واقفين أمام الباب تمر أمامنا نساء يصافحنّه، يأخذهن فى أحضانه، فيقولون له فى دلال: "ماتتفضل عندنا النهاردة."

يرد ضاحكاً: "لا انا النهاردة بتاع ام شطة، حِلّوا عن نافوخى." فيقهقهون.

تدخل علينا امرأة تشبه بائعة الجرجير فى العقد السادس، متجهمة رافسة للباب بقدمها اليسرى بقوة، رغم قصر قامتها فزع الجميع، لم

تنظر لنا، ارتعش سيلان الذى يشبه الثلاجة الأربعة وأربعون قدم، رغم أن لديه شارب يجلس عليه الصقر ويتبول فى طمأنينة، قال لها: "أهلاً بالكبيرة."

انطلقت بالحركة والكلام كالرشاش الروسي:

_ إنت يالا خد الزفت الخليجى ده من هنا، معندناش نسوان بورق، ماتجيبش الأشكال الوسخة دى هنا تانى... أنا بيتى نضيف.

انطلق الخليجى مع فتاه الأسمر، جلست على الكرسى المواجه للباب فاتحةً ذراعيها فى ترحاب، انطلق صديقى ليجلس على رجليها فاحتضنته وقبّلته على وجهه فى لمح البصر. قالت لمصطفى الذى عرِفت بعد ذلك أنه زوجها: "يلّلا ابعت هات غدا للرجالة بلوازمُه. فتحرك فى الحال.

أخذ مدكور ناصية الكلام:

_ إنتى تسيبيلى منى زحليقة وسهير أستِك أنا والراجل ده حتى لو وراهم شغل، هما الوحيدين اللى بيكيفونى هنا.

_ سيبك من الشقة دى بنسوانها العِفشة، وتيجى التانية اللي عالكورنيش وهعملك تخفيض؛ دى خلاص مبقتش من مقامك.

_ لا دى ليها عوزة تانيه خالص بعدين... بعدين.

_ عايز حاجة تانى مع الغدا؟

_ آه، علبتين أبيض.

صافحته ورحلت، مع تحركها من المكان دخلت علينا امرأتان، فأشار لإحداهما أن تسعدنى فضحكت الضحك المعهود فى المكان، أخذ زحليقة تحت إبطه ودخل الغرفة وأغلقها، جلست سهير استِك بجوارى، ظلّت ملاصقة لى مداعبة لكل شهوات جسمى، كلما إقتربتْ تتحدث عن أشياء لا أسمع منها إلا قليلاً، فعندما لم تشعر منى بأى استجابة حاولت أن تستعطفنى وتقول أشياء لا أسمع منها إلا أنها هاربة من زوجها وأن ابنها مريض...

شئ يجثم على صدرى كلما مرّ الوقت علىّ بالمكان، أحسست أننى الآن جالس على شيء لزج، فتحسست بنطالى لأجد سائلاً

لزجاً، من الممكن أن يكون خاص بصديقى... **صديقى الذى لا اعرفه.**

لعل الفأر يعلم!

تم طردى من الجامع الثالث على التوالى خلال نصف ساعة، مع أن كل ما أتمناه أن أستمع لخطبة جمعة تحمل دروساً مستفادة لا أكثر: ذهبت إلى الأول فوجدته ممتلئاً عن آخره، قبل أن تطأ مؤخرتى أرضية المكان رنت جلجلة فى أذنى كالجرس وهى مقولة الخطيب **أن عدم حجاب النساء هو سبب الغلاء.**

فلم أجلس لعدم أهمية الخطبة، لأن هذه الطريقة تُشعرنى بالاشمئزاز، الصوت الجهور –الذى أشبه بنهيق مُسعد الذى أتابع علاجه بالعيادة من حين لآخر– لفظنى خارجاً، هرولت للحاق بمسجد آخر، عند الباب أدركت أنه يتحدث عن فضائل الجماع وثوابه، فلم أُحمّل نفسي عناء خلع حذائى.

يُحدّث منطقة سكنية بطون نساءها منتفخة عن آخرها كأنهم فى مارثون وأولادهم متكدسين بالشوارع عن فضائل الجماع.

لولا عدم معرفتى بالمستقبل لاخترت تخصص النساء والتوليد.

لم آخذ وقتاً طويلاً فى الترجل إلى المطاف الأخير لقرب المسافة، لأجدهم فى جلسة الإستراحة، أخذت موقعى بجوار رجلاً نائماً فى

العقد السادس، لم يطمئن قلبى لنومه أثناء الخطبة، أدركت الإجابة– عن سؤالى الذى بنفسى عن نومه مع وجود التكييف، استغفر الخطيب لاستئناف حديثه عن غشاء البكارة، ظل يصول ويجول فى الموضوع إلى أن وصل إلى مقولته التى طُردت بسببها "**إن الله خصّ النساء من مخلوقاته أجمع بهذا الغشاء للعفة والطهارة؛ لكى تحفظ نفسها لزوجها.**"

ينطقها وكأنه أنتصر فى معركة لتوّه، فلم تقدر أذنىّ على سماع هذا الغش والتدليس والسكوت عليه، فانتفضت واقفاً لأقول "**اللى بتقوله فيه حاجة غلط...**"

فنظر إلىّ وكأننى أخرجت سيفى لأشهره فى وجهه، ليقول لى مقاطعاً:

_ إيه هو اللى غلط يا أستاذ، أنت هتعرف أكتر منى؟!

_ يا عم الشيخ الموضوع لا أكتر ولا أقل، أنا الدكتور ناجى، دكتور العيادة البيطرية اللى فى المنطقة لو متعرفنيش، لما سمعتك بتقول إن ربنا خص النساء فقط بغشاء البكارة من الكائنات الحية

قولت أصحح لك المعلومة، **لأن الحصان والفار والفيل وحيوانات تانية كتير فيها نفس الغشاء، وموجود للحماية من الجراثيم قبل سن البلوغ، فياريت متقولش معلومات مش متأكد منها بس.**

_ أنا مش عارف إزاى صبرت عليك لحد ما قولت الكلام الأهبل ده! جراثيم إيه يا دكتور البهايم؟! هو أنت اللى هتفهمنا فى الدين؟! أنت عاوز تنشر الفساد بين الناس وتقولهم إن غشاء البكارة موجود عشان الجراثيم؟! إتكل على الله يابنى من غير مطرود بدل ما الناس تقوم تاكلك، يلا يابنى بالأدب كدة.

تأكدت من آخر جملة له أنى لابد أن أختفى من أمام أعين الناس لأنه أعطاهم إشارة فى محتوى كلامه بالتعدى على، ففعلت ذلك حفاظاً على نفسى.

منذ هذه اللحظة كلما أهمّ بالذهاب لسماع خطبة الجمعة، أرى بالشوارع طفح مجارير فلا أذهب لعدم تفاهمى معها رغم حذرى منها بالسقوط فيها قبل ذلك، فأنقطعت صلتى بالجامع...

عمى الأقدار

"كل اللى نفسى فيه استحمى فى دش..."

تقولها أم نشوى فى أنين موجع، وجهها الذى نحته الزمن هى وأخوتها كأنهم أرض بور.

أراها أغلب الأوقات حولى، أنظر إلى صورة زوجها التى بها شارة سوداء على جدار مستندة عليه آيل للسقوط.

_ أنا عايشة فى المرار ده من ساعة ماتجوزته لحد ماجالى حفيدى محمد، ولسة مستنيّة وعندى أمل.

أثناء حديثها معى، لفت إنتباهى صوت التلفاز العالى وإعلاناته المزعجة: "أفضل مركز روحانى للشيخ ماحي والعالمة سكينة الاصلية، رد المطلقة فى ساعتين، جلب الحبيب وجعل الحموات والأزواج خاتم فى إصبعك، تيسير الدراسة، حل مشاكل الرزق والعقم والنفور من الزوجات والأزواج، ولدينا بإذن الله حل كل المشاكل الغير مذكورة بالإعلان بمنتهى المصداقية والسرية، واحترس من غيرنا. نسبة النجاح ألف فى المية، لا نعالج إلا بالخلوة الطاهرة."

ينتهى هذا الإعلان ليدخل منافس له: "الشيخ الدكتور (قاهر العرّاف) قاهر الشياطين وجميع أنواع السحر، حاصل على دكتوراة فى الشريعة وأصول الدين من جامعة الأحمر، يكشف مكان الكنوز ويحددها، أترك الأمانى تلاحقك ولاتقف، فكّ العنوسة والزواج السريع وجلب رجال يتميزون بالفحولة، دكتور قاهر هو القاهر."

ينتهى مع ضحك بداخلى لا أجرؤ على إظهاره لإحترام جارتى الجديدة التى لا يسعنى الإستهزاء بها، فتقول:

_ إنت معايا يا أستاذ ولا مش سامعنى؟ شكلك سرحت مع الإعلانات مانا مجرباها... طب تصدق بالله؟ أنا روحت للشيخ ماحى ده كام مرة وخليت بنتى باعت الحلق اللى حيلتها من الدنيا بعد طلاقها عشان يردها ويشوف لنا حل فى مشكلة الماية.

_ وحل مشكلتك فى الآخر؟

_ يا أستاذ أمال أحنا قاعدين ليه؟ مش عشان نغير المواسير ونركب الماتور زى ما انت قلت؟ بس مش عارفة هبيع إيه عشان أسددلك حقهم.

_ طب دى الماية وعرفناها، بنتك رجعت لجوزها؟

_لا ضربها طلقة فى رجلها وماشية على عكاز بعد ما كت بتهز شنبات المنطقة، الله يرحم أما كان فى شنبات.

_ ده الشيخ ماحى ده سره باتع على كدة...

_ لا لا لا لا ماتغلطش فيهم! دول ولاد وسخة كلهم... شفطوا منى فلوس بالهبل كنت بجيبها لهم بالدين.

_ عموماً هلم من باقى البيت وأرجعلك فى الآخر يكون ربنا فكها من عنده.

بعد انتهاء حديثها، لازمنى إحساس بالرغبة فى الإنتقام منها لطول روحها وصبرها على الوضع الذى قذفتنى الأقدار فيه، لم أستطع حل المشاكل المتراكمة منذ ستين سنة بمفردى مع أناس لا يتفقون

على تركيب لمبة سلم، بل يتربصون لبعضهم البعض محاولين أن يتحزّبوا فيفشلون بجدارة، لذلك أملى الوحيد بعد كامل المهاترات معهم أن أجد مكاناً عند الشيخ ماحى...

نهاية بلا بداية

"فساتين، بدل، كرافتات، عربيات، جمعيات، أقساط، كوشة، زفة، خناقات... وفى الاخر إيه؟ بطفِّش مراتى من البيت علشان أعمل حاجات بطلتها من إعدادى، ياخى كان إيه لازمتها المصاريف؟" يدخل فى هستيريا ضحك بعد جملته، أحاول أن أهدئ من حدة تشنجه، يصمت برهة ليعاود حديثه:

_ ألو... ألو...

_ أنا معاك يا دوحة.

_طب خد دى عندك، تصدق بالله؟ أنا عارف إن ربنا بطّل يحبنى، نفسى أعرف إزاى حاسس بيا وسايبنى كدة... أنا بطلت أحبه.

_ يابنى إيه اللى بتقوله ده بس؟! إستهدى بالله كدة وصلى على النبى.

_ بقولك إيه... لو هتعمل زى الناس ما بتعمل، هقفل فى وشك السكة.

_طب إنت فين دلوقتى؟ أنا عايز أقابلك.

_ لا مش هينفع، أنا متنيل سايب مراتى بتولد والعيل دماغه دلدلت منها، مش دى المشكلة.

يقولها متعصباً، فأقاطعه: "أومال إيه المشكلة؟"

_ المشكلة إنى مش هلحق حفلة تسعة فى سينما مترو.

تصعق أذنى مما قاله علّها سمعت خطأ، فأعيد عليه السؤال:

_ إنت بخير يابنى؟

_ أنا على طول بخير ومريّح نفسى لأنى لو مش مريح نفسى كان زمانى مُت من زماااان، ياراجل ده أنا وصلت لإنى أهرب من الشغل زى ما كنا بنهرب من المدرسة زمان وأروح أدخل السينما، أوعى تفتكر إن أنا إتجننت زى ما ناس بتقولك ياصاحبى، سيبك من أمى واللى بتقولهولك ده... دى مش فاهمة حاجة.

_ قولى بس إنت فين وأنا هجيلك لحد عندك، أنا عاوز أطمّن عليك.

ـ ريح نفسك يا صاحبى، أنا مشكلتى مع الدنيا إنها مش ديانى فرصة أعرف هى عايزة منى إيه كل مامشى فى طريق أقول خلاص هو ده، أول ما أحس إنى وصلت ألاقى نفسى مسكت ولا حاجة، أنا دخلتها كأنى دخلت نفق مش لاقيله آخره، وبعدين أنا مش فاضيلك دلوقتى، سلام عشان ألحق حفلة تسعة.

أنهى المكالمة بنبرة صوت هادئة جداً واثقة من المجهول، نظرت إلى الساعة التى أمامى كأنها تحاربنى، تُدخل الخوف بداخلى كدخول سيف المحارب بقلب عدوه، تمنيت أن تتوقف لكنها لا تفعل ذلك، تأكل عمرى أنا وصديقى الذى تكالبت عليه الديون إلى الحد الذى منعه من إنتظار مولوده وهو يستقبل الدنيا المملة الرتيبة كما يقول دائماً.

أصبحت مكالماته ثقيلة على قلبى لأنه لا يوجد لديه ما يسُرّ، المرة التي قبلها قال لى: "**أنا مش عارف أنا بعمل إيه، شغل وبشتغل ليل نهار، لا عارف أسدد ديونى، ولا عارف أعيش. ولو بطلت شغل هتحبس بالكمبيالات، مانت عارف... هى شكلها**

محصلة بعضها. أنا قررت إنى أبطل شغل واستنى الحبس، على الأقل ألحق أعيشلى يومين قبل ماتحبس.

إبهار مميت

التعامل مع الحبيبة التى توهمت أننى أيقنت فكّ طلاسمها، أصبح كزواج ثعبان إفريقي بدب قطبى، كلما شيدت علواً جديداً فى حياتنا، تتعفن المساحة الداخلية لتحلبها فيزداد إظلاماً، تتميز بالتخطيط الذى قد يصل إلى حل جذور المشكلات الحقيقية لتعرية أرواح المحيطين بها، أهجر سواحلها فتغوص فى اعماقى، أصبح الفرار الذى لا أقدر عليه هو الحل الوحيد، لأضيّع ما تبقى من عمرى فى حزن، أسير بهجتى المتهالكة.

أجلس كل مساء لأحتسى كأسى الذى لايفرغ، لألعن يوم معرفتى بها ودخولها إلى قلبى. هى تفعل نفس الشيء بشكل مغاير، فكل ما وعدتنى أن تفعل من أجلى لم تفعل منه شيء، أتذكر بعض الأفعال هنا أو هناك فى غاية الروعة والجمال من أجل أن تثبت لنفسها وللعالم أن من لم يطيء دولتها مهزوماً بلا حياة، أما أنا فآخر شئ فى الوجود من الممكن أن تفكر به إذا سمح وقتها.

بدأت أيامى معها فى ظروف تقليدية للغاية، عندما كانت حبيسة الغرفة المظلمة عند أبيها، لا تتخطى عتبة منزلهم لتفتح أو تستقبل أحد مهما كانت درجة الاهمية، بل الأسوء أنه من الممكن أن

تشيّد أبراجاً سكنية بجوار منزلها وتراهم يضعون الأساس، أما المرة التالية التى تراهم فيها يكون البرج أصبح عشرين طابقاً، الآن هى تقتحم كل مكان أذهب إليه، بداية من الشوارع، المقاهى، الأصدقاء إلى أن وصلت إلى الملاهى والمسارح، بما أنى مؤمن بالحريات؛ لم تترك لى مكاناً أستمتع بعدم وجودها فيه فى مجتمع لا يؤمن بالحريات، علىّ حمل وعبء أن أحارب فى أعين الناس، وحديثهم الدائر بداخلهم، يصرخون ليشاركونى المرأة التى أحببتها يوماً فى كل نفس تتنفسه معى، الأسوء من ذلك أنى أرى فى عين من أسكنتها روحى أنها تتلذذ بنظراتهم، فأتهاوى فى بئر ليس له قرار من الخراء، لأتساءل هل كل نساء العالم بهذا الشكل، أم هى فقط؟ رغم يقينها بعذابى الداخلى الذى أحاول طوال الوقت أن أخفيه فى ملامح وجهى أن ذلك لايعنيها فى شئ، لكنها تستمتع وأنا كورقة جريدة متفحمة للتو.

تتقن دورها أمام المجتمع كأنها الملاك الوحيد بالكون، لا يتبقى لى عند عودتنا للزنزانة غير الدموع والصراخ والعويل حتى مطلع الفجر، كأننى سبب مصيبتها بالحياة التى لا أعلمها، رغم أن من

سلّمنى روحها خربة هو والدها الذى ظل يحشر بعقلها أفكاراً مخالفة لما تفعله الآن، فتظل فى أوقات كثيرة تفعل أشياءاً لتنتقم منه فقط وليس للإستمتاع بالحياة، فيتم فرمى إلى أشلاء لا أقدر على تجميعها، تنسحب جرعات الشئ المسمى بالحب تاركاً جسدى فى تدفق دائم كلما وقعت عليها عينى.

أصحو فى يوم على صوتها تحدثنى عن أشياء، أشخاص لابد أن تنتقم منهم، يصيبنى الخرس من طلباتها غريبة الأطوار، فتطلب أغرب لإستفزازى، إلى أن طلبت منى قتل نفسى لكن ببطء لتستمتع وهى تشاهدنى أحترق حتى آخر نفس، لكنها تحرق نفسها معى، هى وعالمها الذى أهديتها إياه.

على مشارف إحتلال

حينها تذكرت اليوم الذى تجولت فيه بقصر العينى على الترولى الصدئ الذى يصدر من عجلاته صوتاً يصكّ آذان السامعين، لا أعلم ما الذى حدث فى يدى بعد جرحها بقطعة زجاج بالخطأ، غير أنى أرى عظم يدى أمامى ولحمى متهتك. كدت أفقد حياتى: أولاً بسبب النزيف الشديد، ثانياً بسبب عفاف الممرضة الملاصقة لحزام الدكتور شربينى وانشغاله بالبحث معها فى جدلية ما وراء الحزام، تركونى مهملاً بلا أى رعاية أو إنقاذ لحياتى التى تنفرط كسبحة انقطع خيطها، أدخل فى غيبوبة لأعود منها على صوت ممرضة أخرى، تضحك بأسلوب تهتز له مشاعر جميع أحزمة الأطباء الموجودين فى المكان، تردفها بجملة: "مش ده الواد اللى هايقطعوله إيده يادكتور؟" لتدخلنى بمقولتها فى غيبوبة أخرى لا أعلم مداها.

أفتح عينىّ هذه المرة لإحساسى برائحة نشادر قوية تشبه رائحة بحمامات مدرستى التى تعوم فى الخراء على شكل فن تجريدى قبيح، يدى ثقيلة بالجبس، لم تقطع حتى الآن لوجود أصابعى خارجة منه، عرفت بعد ذلك أنها سوف تصاحبنى دون فائدة إلا

إذا وضعت تحت العلاج الطبيعى لمدة سنة أو أكثر، بعد زحام الجمعيات والكمبيالات، تم الحفاظ عليها بشقّ الأنفس من العجز الكامل فأصبح نسبى.

أما الآن أرقد على سرير فى غرفة من غرف الطوارئ بمدينة من المدن الجديدة المحاطة بأسوار عالية البنيان، حراسات خاصة تجوب المكان ليلاً ونهاراً، ترافقنى صديقتى ريرى التى حللت ضيفاً عليها، أثناء ذلك سقط برواز حاولت اللحاق به لكننى فشلت، لم يترك إصابة إلا فى عقلة إصبع واحدة. لكرم ضيافتها أصرت أن أذهب معها إلى المشفى، وإن لم يكن ذلك هو العامل الأساسى، بل صداقتها لزوجتى التى إذا رأت أى خدش بسببها سوف تفعل بنا ما فُعل بسليمان الحلبى. وافقت رغم أنى غير مقتنع لأنه ترف زائد بالنسبة لى، بل من الممكن ان نتفاداه بحفنة بُنّ، اشمئزوا جداً وعارضونى بشدة عندما قلت ذلك، بعد كل هذه المهاترات يأتى دور طاقم الأطباء الثلاثة الذين قاموا وتفحصوا إصبعى الأوسط ببالغ الإهتمام، إحساسه الذى خرج من أعينهم أوصلنى إلى الإشفاق عليهم لعدم وجود شىء بى، أراهم يجهّزون منضدة عليها

معدات كأنهم سيقومون بعملية جراحية خطيرة كى يعيدونى للحياة، يبلغونى أنه لابد من تنظيف الجرح لما فيه خطورة على إصبعى، مع الراحة الكاملة لثلاث ليالى وتناول المضادات الحيوية اللازمة، أصدرت صوت صرصور (الحلق) بعنف، نظروا إلىّ متعجبين وتسمروا كالتماثيل، فقلت لها: "خليهم يخلْصوا من غير رغى علشان نمشى من غير مصايب لمصلحتك."

بدأوا التعامل معى على أنى مختل عقلياً، فهربت بعينىّ إلى أشياء أخرى محاولاً عدم التركيز معهم، لتقع على صندوق قمامة (ستانلس ستيل) يلمع بشكل مبهر، لكنه مطابق فى الشكل تماماً لسرفيس الوجبات الغذائية للمستشفيات العامة. لم أرَ نقطة دم واحدة على الأرض أو أشم رائحة كريهة من كثرة الرفاهية، لم أحتمل فى هذه اللحظة الانتظار ولو لثانية أخرى، فوقفت أنهى المهزلة، يقول الطبيب المعالج بكل هدوء واهتمام بالغ: "هنديك حقنة بنج علشان الجرح تاعبك يافندم واحنا لسة هننضفه." أدقق فى وجهه كأننى رأيته قبل ذلك، لابد أن الصدفة الكونية أتت به

إلىّ لأقول له: "طبعاً إنت مش فاكرنى، بس أنا فاكرك كويس يابن القحبة... **أمال فين عفاف؟ محدش هنا بيلعبلك فى الحزام؟**"

حافة القبر

لم تسعنى الفرحة بدخوله من باب المنزل بعدما فتح الباب بمفتاحه لعدم قدرتى على الحركة إلا قليلاً بالعكاز، يعود لى شبابى على وجهى وتختفى إنحنائة ظهرى قليلاً عند تواجده بجوارى، فهو الابن والسند وأول فرحتى بأولادى، لكننى بعد زواجه آراه على فترات متباعدة والتى كلما مر بىّ العمر أخذْت فى التباعد، تثاقلت عليه أعباء الحياة التى لا تترك أحداً فى راحة. يمسك بيده كيساً شفافاً به ورقة الطعمية والفول والباذنجان، ينطقها فى فرح آخذني فى أحضانه: "أحنا هنفطر سوا النهاردة يابطة، بعدها هاخدك أفسحك زى زمان ونقعد على النجيلة فى الميدان."

تزرف عينىّ الدموع ابتهاجاً بلهفته رغم بعده عنّى فترة لا أعلم مداها، ولا أريد أن أتذكرها، كل ما يعنينى وضع أوزار حياته فى أحضانى، إفطاره معى له طعم أعشقه، لا أشبع منه كأنه أخذنى عند أولياء الله الصالحين.

لم أرَ الشارع منذ شهور رحلتى الدائمة من الغرفة إلى بيت الراحة، لأتنزه معه ألبسنى عباءة لم تتغير كثيراً عن التى أرتديها، أخذ بيدى قائلاً وهو يبتسم: "يللا يا بطة علشان تغيرى جو وسيبك من

قعدة البيت، معاكى بطاقتك علشان الحكومه تحت بتقبض على الستات ام عكاز؟"

_ حاضـــر ياضـــنايا، بـــس براحـــة عليـــا... المـــاتور بيلـــيّن... هههههههههه.

يشاركنى الضحك فى نفس واحد، يذكرنى بوالده عندما كنا نفعل ذلك، لم يترك لنا غير ذكريات خفة دمه –رحمه الله–، وبعض الديون التى جعلت عينايّ فى الأرض لإنحناء ظهرى. إرتسم على وجهى فى هذه اللحظة عمرى بأكمله مع هذا اللعين الذى لاتجوز عليه الرحمة، أبكانى أكثر مما أضحكنى، تزوجته منذ الطفولة، أتذكر جيداً كم كان عمرى يوم زواجى: أربعة عشر عام. عشت فى ظله إلى أن سافر إلى دولة دائماً أنسى إسمها لكننى لا أنسى الأوبئة التى عاد بها من هناك، لم يكمل عاماً ثم رحل عن دنيانا.

يقطع حبل ذكرياتى ليسأل:

_ مالك يامّا، تعبتى؟

_ مش عارفة، بس كفاية إن إنت معايا... دى عندى بالدنيا، والنبى ما تغيبش عليا كتير دانا من غيرك مليش لزمة.

_ عينيا يامّا... أدينا وصلنا أهو يا بطة.

_ وصلنا فين يا واد؟! أحنا مش هنروح الجونينة؟ إيه اللى جابنا مدرستك القديمة؟ وإيه العساكر اللى ماسكين بنادق فى وشنا دول، هى الحرب قامت؟

_ يامّا ده احنا هننتخب فى السريع وهنمشى، هاتى بطاقتك.

أخذها ليبتعد عنى أمتار، أراه بوضوح يتحدث مع شخص لا أعرفه دسّ له نقوداً فى جيبه، فتحسسها بيده اليمين، صفعه الرجل على قفاه وابتسم له ثم أتى إلىّ مسرعاً وأوصانى:

_ علمى على رمز الصنارة...

_ يابنى هشوف صنارة ولا شبكة؟ أنا مالى.

_ هدخل معاكى علشان أوريكى.

انتهينا من الانتخابات التى لا أعلم من أين أتت لتفسد بهجتى، فنادى على مرجوشى ابن جارتى فى المنزل:

_ خدها روّحها دلوقتى علشان تعبانة.

_ حاضر ياعم واعر.

_ يابنى إنت مش قلت هتودينى الجونينة؟ أومال جرّتنى كل ده وراك ليه؟

_ يامّا إنتى عملتى اللى عليكى وزيادة، وأنا ورايا مصالح تانية... روّحى دلوقتى وهعدى عليكى بعدين.

جلست فى المنزل أنتظر كما وعدنى ليمرّ علىّ، لا أعلم عدد الأيام، كنت أحسبها فى السابق أما الآن تمر دون اهتمام لتشابهها الشديد، النهار مثل الليل فى هذا المنزل الذى لا يدخله النور إلا في خجل من وقت الآخر، أكافح لأذهب إلى جارتى لأسالها: "هى الانتخابات إمتى تانى؟ الواد واحشنى؟"، فترد باقتضاب شديد: "إنتى سألتينى النهاردة تلات مرات..."

لم يكن اختيارى

يبعد عنى بأمتار قليلة إسطبل الخيول العربى، ونادى الشمس حيث حمامات السباحة، الملاعب، الورود واجساد نساء ورجال وأطفال فى أبهى زينة، ورائحة النسيم التى نسيتها، خلفى عزبة كحوَش.

لا فرق بينى وبينها غير أن من يحيون بها أجساد قاربت على التحلل، أما أنا قد تخطيت هذه المرحلة، يأتينى هذا اليوم زوار العيد الذى أكرهه كرهاً شديداً لما يحدث لى، تُفتح بواباتى فى الصباح لتدخل زمرة من النساء متدثرين السواد، يولّولون، يصرخون، ينتحبون، يزورون من لهم بداخلى من عظام باقية، كنت أصبر عليهم فيما سبق عندما كانوا يأتون بالجريد الأخضر والشُوريك وبعض الأطعمة، فيعمّ الخير على أهل المكان فيرعوننى، ويسقون زرعى.

أما الآن لا أحسّ منهم غير الإنتهاك بلا رحمة، تنتهى هذه الأفواج لتبدأ الصبيْة فى الدخول والنبش بداخلى لكى يلعبون، فأصمت وأبسط لهم نفسى حتى ينتهوا، لكنهم أصرّوا على

مفاجئتى، اليوم أخذوا من داخلى رأس زينهم العجلاتى، ليلعبوا بها مباراة كرة.

فى نفس هذه الأيام من العام الماضى إعتاد هؤلاء الصبية تأجير العجل من زينهم فيسعد بسعادتهم، لذلك أحس دموعه ترويني، فأتمزّق وهم يركلون رأسه بين أرجلهم، بنوا مرمى واحد لفريقين، يعطى حارس المرمى ظهره لهم، يقذف الرأس ليبدأوا بعدما غلفوها بورق جرائد وقطع قماش قديمة، فيلهون ويراوغون بعضهم بفرح واستمتاع للدرجة التى أنستنى أن هذه الكرة هى رأس زينهم الذى أحببته من كثرة حكاياته عنهم لى، ينهون المباراة ليتركوها بجوار الحائط، ويعم الهدوء على المكان.

وقت قليل لأستقبل آخر فوج، لينتهك كل ما بقى عندى من صبر، هم أناس قليلون يأتون فرادى حتى يكتمل عددهم، يبدأون فى مضاجعة النساء واحتساء الخمر وتناول السجائر ذات الدخان الأزرق حتى مطلع الفجر، يعلو صوتهم فيزعجون من بداخلى، وبنهاية سهرتهم التى نادراً ما تنتهى بسلام. لا يتبقى منهم لى غير قطرات منيّهم، أعقاب سجائر، زجاجات خمر مهشّمة.

حولى سور كبير، بجواره من بدايته إلى نهايته تلقى القمامة، وعلى البوابة لافتة أكلها المطر والشمس مكتوب عليها (مدافن الصدقة).

أشباح في الإنعاش

أصبحت رائحة الليل كالمقابر المتناثرة بالمدينة، شكل البيوت كالزنازين، أجوب طرقاتها المظلمة لأبحث عن مأوى لا أعلمه من كثرة ترحالى بين الشوارع والطرقات، أسأل نفسى كثيراً هل تزوجت؟ هل كنت أعمل عملاً شريفاً محترماً؟ كما يقولون لى إن هذا شريف أو ذلك محترم.

لم أتمنَ أكثر من ذلك ياقطتى، كل يوم فى نفس الميعاد تتقاسمى معى كسرة الخبز التى تأتى بها من القمامة، أنت الوحيدة التى لا تكسر بخاطرى، على كل حال سأتقاسم معكى كوب الماء، هل أنت دافئة؟ من الممكن أن يكون الشعر الذى يغطى جسدك يغنيكى عن أى ملابس مثل ملابسى التى فتحاتها أكثر من أجزائها السليمة.

لم تحتوينى بطانية منذ سنين، لم يحتونى غير غطاء السيارات المهلهلة المليئة بالأتربة وبول الكلاب الضالة، أرتعش من البرد أحياناً، تقفّ الرعشة من أطرافى بعد رقصى حزناً على كل شئ أفقدته بكارته فى حياتى، لم يعد لى غير مراقبة عقارب الساعة على حائط ظهرى المحنىّ.

هل من مبارز يرقص معى يا أهل المقابر؟... أقصد يا أهل هذه المدينة، إنكم نائمون أو بالأحرى مدفونون، تضاجعون بعضكم البعض، تمثلون الصراخ واللذة، أسمعكم جيداً، تقذفون أجسادكم بعد ذلك تستغرقون فى النوم لتستيقظوا على ميعاد عذابكم اليومى... أقصد دائرتكم التى تلتهم أعماركم دون أدنى مقاومة منكم، تتسرب حياتكم كالماء من بين اصابعكم، تبحثون عن رضا رجل يأمركم: إن هذا محرّم وذلك محلل، ولا تسألون لماذا... لن **يسمح لكم بالسؤال. لم يكن هذا الكائن الإله فى يوم، رغم أنكم تتمنوا رضاه إلى أقصى درجة**، لذلك تستبدلون نساءكم فى الخفاء لتمر الأيام دون أحمال تطبق على صدوركم، تضحكون فى أوجه بعضكم البعض فى تضامن: ظاهره الروعة، داخله العفن.

... سوف أقول لكم... أقول... أقول...
هل تسمعوننى ياا..؟
هل من مبارز؟ أم أن قواكم خائرة؟
...هيا ياقطتى نرحل لنترك لهم بركتهم

الفهرس

الحيوانات كائنات أرقى ٧

صاحب الكباريه ١١

حفظتكوا يا ولاد المت... ..... ١٥

الشّبكة المقدسة ٢٣

بداخل الفولاذ ٢٩

جسد أثناء تحلله ٣٥

عقل مُسَرطِن ٤١

دستور خلفى ٤٧

أزمة دبلوماسية عند أم شطة ٥٣

لعل الفأر يعلم! ٦٥

عمى الأقدار ٧١

نهاية بلا بداية ٧٧

إبهار مميت ٨٣

على مشارف إحتلال ٨٩

حافة القبر ٩٥

لم يكن اختيارى ١٠١

أشباح في الإنعاش ١٠٧